أفعال الكلام في ديوان أبي إسحاق الإلبيري (ت 460هـ)

-مقاربة تداولية-

هناء شبايكي، السنة الثالثة دكتوراه، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة

ملخص

تندرج هذه الدّراسة في سياق استثمار المنهج التّداوليّ، باعتباره من بين أهمّ الآليّات الفعّالة الجديدة التي يوظّفها الدّرس اللّغويّ العربيّ المعاصر في مقاربة مختلف النّصوص الأدبيّة.

ولمّا كان البحث في الأفعال الكلاميّة بحثا في صميم التّداوليّة اللّغويّة –بل إن التّداوليّة في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلاميّة– كانت هذه الدّراسة لتهتمَّ بأفعال الكلام في ديوان أبي إسحاق الإلبيريّ (ت 460هـ)، أحد أهمّ شعراء الأندلس في القرن الخامس الهجريّ.

وجاء التّحليل وفقا لرؤية سيرل ، وقد احتوت الدّراسة مقدّمة عن الأفعال الكلاميّة مهّدَتْ للدّخول في الموضوع محلّ الدّراسة، الذي بيّن بداية الفرق بين رؤيتي أوستن وسيرل، ثم لمحة موجزة عن حياة أبي إسحاق الإلبيريّ، ليتركّز البحث في أفعال الكلام في أربع نقاط مهمّة هي : الإخباريّات، التّوجيهيّات، التّعبيريّات والإعلانيّات من خلال عرض نماذج شعريّة وتحليلها.

الكلمات المفتاحيّة: المنهج التّداوليّ، الأفعال الكلاميّة

Résumé

Cette étude se situe dans le cadre de l'emploi et l'investissement de la méthode pragmatique, en tant que l'un des mécanismes les plus efficaces qu'utilise la linguistique arabe dans son approche des différents textes littéraires.

Etant donné que la recherche dans les actes locutoires est une recherche dans le fond de la pragmatique –voir même qu'elle en était synonyme – la présente étude s'intéresse donc aux actes locutoires dans le recueil D'ABI ISAAC AL- ILIBIRI (mort en 460 de l'hégire), considéré comme l'un des meilleurs poètes Andalou au cinquième siècle de l'hégire.

Et pour ce, nous nous somme appuyés - dans notre analyse- sur la vision de "Searle" et nous avons étalé notre étude sur un préambule qui nous a permis de nous introduire dans le fond du thème –sujet de notre présente étude- qui a bien mis en évidence la différence entre la vision " d'Austin" et de celle de "J.Searle" en passant par une brêve biographie D'ABI ISAAC AL-ILIBIRI ; pour que cette étude se concentre enfin sur les actes locutoires en quatre points essentiels: les informatives, les directives, les expressives el les annonciatives, en se basant sur la présentation et l'analyse de quelques modèles poétiques.

مـــقدّمة

يُعدّ البحث في الأفعال الكلاميّة بحثًا في صميم التّداوليّة اللّغوية، بل إنَّ التّداوليّة في نشأتها الأولى كانت مرادفةً للأفعال الكلاميّة.

إذ تُـعدّ الأفعال الكلاميّة الأساس الجوهريّ الذي انبنى عليه الاتجاه التّداولي، وضعه الفيلسوف " **أوستن** "وطوّره من بعده تلميذه" **ج .سيرل**".

و نرى أنه من الصّعب تقديمُ تعريفٍ واحدٍ يتّـفق عليه جميع الدّارسين، ويرجع ذلك إلى اختلاف مرجعيّاتهم التي ينطلقون منها في تناول موضوع التّداوليّة عمومًا ومع ذلك فإنّ المتّـفق عليه هو: أنّ تكلّم لغة ما أو التّحدّث بها يعني تحقيق أفعال لغويّة، وقد شاع بين الدّارسين استعمال مصطلح **الفعل الكلامي**.[1]

و حتّى يتسنّى لنا فهم ذلك، وجب الوقوف على مفهوم الفعل أولا: **فالفعل** يدلّ على أنّ اللغة لا تستعمل فقط لتمثيل العالم، و لكن تستعمل لإنجاز أفعال " أي إنّ الإنسان المتكلّم ، وهو **يستعمل اللغة** لا **ينتج كلمات دالّة على معنى** بل **يقوم بفعل**، و **يمارس تأثيرا**.[2]

أما **الكلام** " فهو كل نشاط إنسانيّ واقعيّ ، يقوم به فرد من أفراد الجماعة محقّـقا من خلاله نشاطا إنسانيّا، بالإمكان رصده، والبحث فيه بما يكشف عن سمات نفسيّة و اجتماعيّة و ثقافيّة وحضاريّة".[3]

و بالرّجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان " **أوستن** " وتلميذه " **سيرل** " حول هذا المفهوم اللّساني التّداولي الجديد، فإنّ **الفعل الكلامي** يعني : التصرّف أو العمل الإجتماعي أو المؤسّساتي

الذي ينجزه الإنسان بالكلام، و من ثمّ فإن **الفعل الكلامي** يراد به الإنجاز الذي يؤدّيه المتكلّم بمجرّد تلفظّه بملفوظات معيّنة ومن أمثلته: الأمر، النّهي، الوعد، السّؤال، التّعيين، الإقالة، التّعزية والتّهنئة ... فهذه كلها أفعال كلاميّة.[4]

وفي الإطار نفسه يقول **نعمان بوقرة:** إنّ الفعل الكلاميّ يمثّل محورَ اهتمام الدّراسات اللّسانية النّصية، إذ يمثّل التّأكيد على أشياء، أو إعطاء أوامر، أو إثارة أسئلة، أو القيام بوعود، أو غير ذلك من الأفعال التّداولية التي تركّز على تأويل النّصوص باعتبارها أفعالا للّغة كالوعود، التهديدات، الاستفهامات، الطلبات والأوامر.[5]

و يعدّ مفهوم الفعل الكلامي نواةً مركزيّةً في كثير من الأعمال التّداولية، وفحواه أنّ كل ملفوظ ينهض على نظام شكليّ دلاليّ إنجازيّ تأثيريّ، وفضلا عن ذلك، يعدّ نشاطا ماديّا نحويّا يتوسّل أفعالا قولية Actes Locutoires لتحقيق أغراض إنجازيّة Actes Illocutoires_(كالطّلب والأمر والوعد والوعيد.....الخ)، وغايات تأثيريّة Actes Perlocutoires تخصّ ردود فعل المتلقّي (كالرّفض والقبول)، ومن ثمّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريّا، أي **يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب،** اجتماعيّا أو مؤسساتيّا، ومن ثمّ **إنجاز** شيءٍ ما.[6]

الأفعال الكلامية من أوستن إلى سيرل [7]

01- تصنيف أوستن[8] للأفعال الكلامية:

أولا: لقد ميّــز أوستن بين نوعين من الأفعال:

أ- **أفعال إخبارية constative:** وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجيّ، وتكون صادقةً أو كاذبةً.

ب- **أفعال أدائيّة performative:** تنجز بها -في ظروفٍ ملائمةٍ- أفعالٌ أو تؤدَّى، ولا توصفُ بصدق ولا كذب بل تكون موفقة happy كما أطلق عليها، أو غير موفقة unhappy ويدخل فيها التسمية، الوصية، الاعتذار، الـرّهان، النّصح والوعد.

ثانيا: حين تبـيَّن لأوستن أن تمييزه بين الأفعال الإنجازية والأدائية غير حاسم، وأنّ كثيرا مما تنطبق عليه شروط الأفعال الأدائية ليس منها، وأنّ كثيرا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة الأدائية رجع عودًا على بدءٍ إلى السّؤال: **كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا؟**

وفي سعيه للإجابة عن هذا السؤال رأى أن الفعل الكلامي مركّب من ثلاثة أفعال:

- ✓ **الفعل اللفظي locutionary act** : وهو كلّ فعل يتألّف من أصوات لغويّة تنتظم في تركيب نحوي صحيح، ينتج عنه معنى محدّد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه .
- ✓ **الفعل الإنجازي illocutionary act** : وهو ما يؤدّيه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.
- ✓ **الفعل التأثيري perlocutionary act** : ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع.

ثالثا: يرى أوستن أن الفعل اللّفظي لا ينعقد الكلام إلا به، وأن الفعل التّأثيري لا يلازم الأفعال جميعا فمنها ما ليس له تأثير في السامع، فتركّز اهتمامه على الفعل الإنجازيّ، وبناءً على ذلك فقد قدّم أوستن تصنيفًا للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية illocutionary force يشتمل على خمسة أصناف هي: أفعال الأحكام verdictives، أفعال القرارات exercitive، أفعال التعهد commissives، أفعال السلوك behabitives ، أفعال الإيضاح expositives.

02- **تصنيف سيرل[9] للأفعال الكلامية:**

إنّ ما وضعه أوستن لم يكن كافيًا لوضع نظريّة متكاملة لتصنيفات الأفعال الكلامية، فجاء بعده تلميذه جون سيرل فأحكم وضع الأسس المنهجية، التي تقوم عليها وصدر له كتاب بعنوان: الأفعال اللغوية (Speech acts) عام 1969م باللغة الإنجليزية.

لقد تبنّى سيرل مقترح أستاذه أوستن مشدّدا على أن " فعل القول" لا يمكن تحقيقه دون قوّة إنجازيّـة، كما أجرى تعديلات على تصنيف أوستن للأفعال اللّـغوية، فضلا عن الاهتمام الخاص الذي أعطاه للمعنى و المحتوى اللّغوي، ويمكن إيجاز القول في أهمّ ما جاء به سيرل على النحو الآتي:

- ✓ يرى سيرل أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى minimal unit للاتصال اللّغوي، وأنّ للقوّة الإنجازيّـة دليلاً يبيّن نوع الفعل الإنجازي الذي يؤدّيه المتكلّـم بنطقه للجملة –نظام الجملة– word–order والنّبر stress ، التنغيم intonation، وعلامات الترقيم punctuations في اللّغة المكتوبة، وصيغ الفعل mood ، والأفعال الأدائيّة performatives.

- ✓ الفعل الكلاميّ أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلّم، بل هو مرتبط أيضًا بالعرف اللّغوي والاجتماعي، ويلخّص سيرل ذلك في عبارة مأثورة هي:

Meaning is more than a matter of intention, it is also a matter of convention.

- ✓ قدّم سيرل تصنيفًا بديلاً لما قدّمه أوستن من تصنيف للأفعال الكلاميّة يقوم على ثلاثة أسس منهجيّة هي: الغرض الإنجازيّ illucotionary point، اتجاه المطابقة direction of fit، شرط الإخلاصsincerity condition .
- ✓ جعل سيرل الأفعال الكلامية خمسة أصناف هي: الإخباريّات assertives، التوجيهيّات directives، الالتزاميّات commissitives، التعبيريّات expressitives ، الإعلانيّات declarations.

وسنحاول فيما يأتي تحليل الأفعال الكلامية في ديوان أبي إسحاق الإلبيري وفق رؤية سيرل:

وقبل ذلك نعرض إلى تعريف مختصر لأبي إسحاق الإلبيري: [10]

هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود التُّجيبي واشتهر بالنسبة إلى مدينة إلبيرة [11]، فقيل أبو إسحاق الإلبيري، ذكر في كتب الأخبار أنه ولد في حصن العقاب حوالي سنة 375هـ ونشأ فيها نشأته الأولى، ثم خرج إلى إلبيرة، وفي هذه الحاضرة استقرّ واستزاد من علومه ولقي الشّيوخ وروى عنهم وتبحّر في العلوم الشرعيّة واشتهر بالفقه والقراءات القرآنية.

استوطن أبو اسحاق إلبيرة إلى أن أدركها الخراب ثم سكن غرناطة.

و عمل كاتبًا لدى القاضي أبي الحسن علي بن توبة، وكان هذا القاضي قد تولّى العمل لباديس بن حبّوس الزّيـري صاحب غرناطة إثر توليته السّلطة بعد أبيه سنة 429هـ.

كانت علاقة الإلبيري بهذا القاضي وثيقة ولا يعرف له مدح في رجل آخر غيره في ديوانه أو في أخباره.

يعدّ الإلبيري من تلاميذ ابن أبي زمنين المتوفَّى سنة 399هـ، وكان في هذه المدّة من جملة الفقهاء (الشّبان) يروي عن العلماء ويأخذ طريقه إلى ممارسة الإقراء والتّدريس والرّواية والتّعليم.

عاصر كثيرا من الشّخصيات الكبيرة والمؤثّرة في الحياة الفكرية: العلمية والأدبية والفنية في الأندلس مثل ابن حزم الفقيه المعروف (ت 456هـ) والشاعر ابن زيدون (461هـ) وابن شهيد (426هـ).

ومن أصحاب الإلبيري ومريديه، أبو محمد عبد الواحد بن عيسى بن سليمان الهمذاني، وكان فقيها جليلا حافظا للفروع، وفيهم أبو حفص عمر بن خلف بن محمد الهمداني المعروف بابن قبلال (ت 502هـ) وكان فقيها زاهدا فاضلا، و غيرهم كثير.

أدرك الإلبيري من العهود السّياسيّة ثلاثة: وفي كل عصر أمراء ورؤساء وظروف مختلفة، فقد أدرك دولة العامريّين بالأندلس، وأدرك مدّة الفتنة حين نهض بنو أميّة لاسترداد ما سلبهم إياه ابن عامر وأولاده من السّلطة والقيام بشؤون النّاس، وعاصر مدّة دول الطّوائف ومات في أثنائها نحو سنة 460هـ قبل انهيار الأندلس الكبير بسقوط طليطلة سنة 478هـ.

الأفعال الكلامية في الديوان وفق رؤية سيرل:

المطلب الأول: الإخباريات ASSERTIVES

تعدّ الإخباريّات أولى التّصنيفات وتعرف أيضا بالتّمثيليّات، التّأكيديّات، التّقريريّات، الجزميّات أفعال الإثبات – الإثباتيّات–

الغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلّم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضيّة Proposition يعبّر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصّنف كلها تحتمل الصّدق والكذب، واتّجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم words–to–world.[12]

والهدف من الإخباريّات تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم، وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى مهما كانت درجة القوة.[13]

ويشمل هذا القسم من أفعال الكلام كلّ الأفعال والعبارات التي تصف وقائع وأحداثا في العالم الخارجي، وغرضها الإنجازي هو أن تنقل هذه الوقائع بأمانة، ولن يتأتّى ذلك إلا بتوفّر شرط القصد في الإبلاغ.[14]

و من شواهد **الإخباريّات** في ديوان أبي إسحاق الإلبيري نورد ما يأتي:

1- أفعال الإخبار عن واقع مضى وانقضى:

يقول الإلبيري:[15]

ت1- وَأَنْتَ الآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَابٍ وَلَا دَنَّسْـتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَـشَأْتَا

وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ وَلَا أَوْضَـعْتَ فِيهِ وَ لَا خَبَبْتَا

فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ وَمَنْ لَكَ بِالخَلَاصِ إِذَا نَشَبْتَ

وَدَنَّسَ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّى كَأَنَّكَ قَـبْلَ ذَاكَ مَا طَهُـرْتَا

وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وَثَاقٍ وَكَيْفَ لَكَ الفَكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا

(**الخبب:** ضرب من العدْو، **أوضعت النّـاقة في سيرها:** أسرعت، **نشب في الأمر:** وقع فيما لا مخلص له منه).

ويقول:[16]

ت2- عَصَفَتْ بِهِمْ رِيحُ الرَّدَى فَذَرَتْهُمُ ذَرْوَ الرِّيَاحِ الهُوجِ حِقْفَ رِمَالِ

وَتَـزَلْزَلَتْ بِـهِمُ المَنَابِرُ بَعْدَمَا ثَبَتَتْ وَكَـانُوا فَوْقَهَا كَجِبَالِ

(الحقف: المعوجّ من الرمل العظيم).

ويقول أيضا:[17]

ت3- أَلِــفْتُ العُقَابَ حِذَارَ العِقَابِ وَعِفْــتُ المَوَارِدَ خَوْفَ الذِّئَابِ

وَأَبْغَضْتُ نَفْسِي لِعِــصْيَانِهَا وَعَاتَبْتُـــــــهَا بِأَشَدِّ العِتَــابِ

وَقُلْتُ لَهَا بَــانَ عَنْكِ الصِّبَا وَجَرَّدَكِ الشَّيْبُ ثَوْبَ الشَّبَابِ

وَمَا بَــعْدَ ذَلِــكَ إِلَّا البِــلَى وَسُكْنَى القُبُورِ وَهَوْلُ الحِسَابِ

فَأَيْقَظَهَا العَتْبُ مِنْ نَوْمِــهَا وَلَكِنَّـــهَا جَمَّةُ الإِضْطِرَابِ*

فَكَمْ أَنْشَــأَتْ مُزْنَــةً لِلتُّقَى وَعَادَتْ وَشِيكًا كَلَمْعِ السَّرَابِ

(العُقاب: اسم حصن قريب من مدينة غرناطة، * قطع الشاعر همزة الاضطراب للضرورة).

2- أفعال الإخبار عن الواقع في الزمن الحاضر:

يقول الإلبيري:[18]

ت4- تَفُتُّ فُــــؤَادَكَ الأَيَّــــامُ فَتًّا وَتَنْــــــحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا

وَتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ أَلَا يَــا صَــاحِ: أَنْتَ أُرِيــــدُ أَنْــتَا!

أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًــا ذَاتَ غَدْرٍ أَبَتَّ طَــلَاقَهَا الأَكْــــيَــاسُ بَــتَّا

تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ بِــهَا حَتَّى إِذَا مِــتَّ انْــــتَبَــهْتَا

فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَــــخْدُوعٌ وَحَتَّى مَتَى لَا تَرْعَــــوِي عَنْــهَا وَحَــتَّى؟

(**العرس:** امرأة الرجل وتقال أيضا لرجل المرأة فهما عرسان، **أبتّ طلاقها:** أوقعه ثلاثا، **غطيط:** يقال غط النائم غطا أي سمع له صوت، **ارعوى:** كفّ وحسن رجوعه).

تعرض هذه التّراكيب (ت1- ت2- ت3) وقائع حاصلةً في زمنٍ ماضٍ، استعمل فيها الشّاعر أفعالا معيّنة: (و كما هو معروف فإن زمن الماضي يفيد غالبا التقرير)

ففي التّركيب الأول (ت1) استعمل الشاعر: دنّستَ، سابقتَ، أوضعتَ، نشبتَ، دنّس، تطهّر، صرتَ.

وفي التّركيب الثاني (ت2) استعمل الشاعر: عصفتْ، تزلزلتْ، ثبتتْ.

وفي التّركيب الثالث (ت3) استعمل الشاعر: ألفتُ، عفتُ، أبغضتُ، عاتبتُ، قلتُ ....

أما في التّركيب الرابع (ت4) فقد استعمل الشاعر أفعالا في صيغة المضارع: تفتّ، تنحت، تدعوك، أراك، تحب، تنام، ترعوي.

وهذه الأفعال كلها تنقل لذهن المتلقّي صورة محدّدة عن واقعة -هي في التّراكيب الثلاثة الأولى- في **زمن مضى** و **غرضها الإنجازي العام** هو **التّقرير**، ففي (ت1) يخاطب الإلبيري أبا بكر[19] مخبرا عن حاله من خلال وصف لسموّ خلقه اعتمادا على ما يحمله الإلبيري في ذاكرته عنه، محذّرا إياه وموجّها نصحًا عامًّا في آخر الأبيات وذلك ما تميّز به الإلبيري عموما في ديوانه وفي هذه القصيدة المطوّلة من ديوانه خاصة.

وفي (ت2) يخبر عن حال قوم كانوا ثابتين كالجبال فتغيّرت حالهم إلى وضع سيء.

وفي (ت3) يخبر الشاعر عن واقعة معينة يبيّن فيها للمتلقّي كيف إنّه لزم المرابطة في حصن العُقاب لكي يجنّب نفسه ما يؤدي إلى المخالفة أو ما يوقعها في الإثم الذي نتيجته العِقاب من الله عز وجل ، وضرب مثلا بامتناع الإنسان ارتيادَ موارد المياه على رغم الحاجة إليها أو الرغبة فيها خشية الذئاب المترصّدة، وهي رسالة لكل إنسان للثّــبات على ما أمر به الله عزّ وجلّ.

أمّا في (ت4) فإنّ الشّاعر يخبر عن وقائع معيّنة تصف حال الإنسان إذا عاش غافلا في هذه الدّنيا عن سبب خلقه ووجوده، واستعمل الإلبيري زمن الفعل المضارع، والمضارع عموما يفيد الحال والمستقبل، ولم

يأت اختياره لهذه الصيغة اعتباطا فهو–المضارع– يفيد استمراريّة رغبة النّفس عموما في القعود عن النهوض بما يرضي الخالق ويلاحظ المتلقّي أن الأحداث قد وردت كما لو أنه يراها أمام عينيه.

أمّا اتّجاه المطابقة في هذه التّراكيب فهو **من الكلمات (القول) باتجاه العالم word–to–world**، و **شرط الإخلاص فيها** يتمثّل في **النّقل الأمين للواقعة والتّعبير الصّادق عنها** فإذا تحقّقت الأمانة في النّقل فقد تحقّق شرط الإخلاص وإذا تحقّق هذا الأخير أُنجزت الأفعال إنجازا تامًّا أو ناجحًا، وإلاّ اعتبرت مجرّد أخبار لا معنى لها، ونلمسُ ذلك من خلال العبارات التي اختارها الشّاعر حتى إنه راعى ترتيب الأحداث كما أنّها تحصل على مرأى من السّامع.

المطلب الثاني: التوجيهيات DIRECTIVES

وتُعرف أيضا بالطّلبيات **وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطَب إلى فعل شيء معيّن، واتّجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات WORLD–TO–WORD وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في الرّغبة الصّادقة**، ويدخل في هذا الصّنف: الأمر، النّصح، الاستعطاف و التشجيع.[20]

وتشمل **الطّلبيات** كل الأفعال الدّالة على الطّلب، من دون اشتراط صيغة لها، نحو: أمرت، أوجبت، نهيت،..... وغرضها الإنجازي هو حمل المخاطب والتأثير فيه ليفعل شيئا أو يخبر عن شيء.[21] ومن صيغها في ديوان أبي إسحاق الإلبيري:

1- الأمـــــر:

يقول الإلبيري:[22]

ت1- فَـــقُوتُ الـرُّوحِ أَرْوَاحُ المَـــعَانِي وَلَيْـــسَ بِأَنْ طَـــعِمْتَا وَأَنْ شَـــرِبْتَا

فَـــــوَاظِبْهُ وَخُـذْ بِالجِـــــدِّ فِيهِ فَإِنْ أَعْطَـــــــاكَهُ اللهُ أَخَـــذْتَا

ويقول:[23]

ت2- إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ قَدِ ارْتَفَعُوا عَلَيْكَ وَقَدْ سَفَلْتَا

فَرَاجِـــعْهَا وَدَعْ عَنْكَ الهُوَيْنَى فَمَا بِالبُطْءِ تُدْرِكُ مَا طَلَبْتَا

ويقول أيضا:[24]

ت3- وَلَيْسَ يَــضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًــا إِذَا مَا أَنْــتَ رَبَّــكَ قَدْ عَرَفْتَا

فَمَــاذَا عِنْدَهُ لَــكَ مِنْ جَمِيلٍ إِذَا بِفِــنَاءِ طَاعَتِــهِ أَنَخْــتَا

فَقَابِلْ بِالقَبُولِ صَحِيحَ نُصْحِي فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَا

ويقول:[25]

ت4- وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِـيهَا وَأَخْلِصْ فِي السُّؤَالِ إِذَا سَأَلْتَا

وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْـتِرَافًا بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّـونِ بْنُ مَتَّى

وَلَازِمْ بَابَــــهُ قَـرْعًا عَسَــاهُ سَيَفْتَــحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَــرَعْتَا

وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الأَرْضِ دَأْبًا لِـتُذْكَرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَا

ويقول أيضا:[26]

ت5- فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيَّ مِنَ المَخَازِي وَضَاعِفْهَا فَإِنَّــكَ قَدْ صَدَقْتَا

وَمَهْمَا عِبْتَنِي فَلِــفَرْطِ عِلْمِي بِبَاطِــنَتِي كَأَنَّــكَ قَدْ مَدَحْتَا

نلاحظ من خلال التّراكيب سابقة الذّكر (ت1....ت5) أن أبا إسحاق الإلبيري قد استعمل جملا طلبية متضمنة أفعال الأمر، إذ تحمل هذه العبارات قوى إنجازية أمرية مفادها إنجاز المخاطَب شيئا على وجه التّحديد.

ففي التراكيب (ت1–ت2–ت3– ت4): يوجّه الشّاعر أمرا إلى المخاطَب من خلال الأفعال الآتية:

(ت1: واظب، خذ)، (ت2: راجع، دع)، (ت3: قابل)، (ت4: سل، أخلص، ناد، لازم، أكثر)،

إذ تحمل هذه الأفعال على مستوى كل جملة طلبية قوة إنجازية أمرية، مفادها في هذه النّماذج تقديم النّصح و الإرشاد للمخاطَب بضرورة الاعتناء بغذاء الرّوح دون الجسد في (ت1) لأنّه أصل الحياة وحقيقتها، وبضرورة مراجعة المخاطَب لنفسه وعدم التّكاسل لنيل ما يتمنّــاه وذلك في (ت2).

أما في التّركيبين (ت3–ت4) فإن الشّاعر ينصح المخاطَب ويرشده إلى التمسك بطريق الله عز وجل، والتماس التّوفيق منه ليفتح باب رحمته لعباده للفوز بالجنان ويؤكد أن في الإعراض عن ذلك ذلّ الإنسان وهوانُه وخسرانُه.

و في التّركيب (ت5) فالجملة الطلبية (فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيَّ مِنَ المَخَازِي* وَضَاعِفْهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَا) تتضمّن أفعال أمر تحمل قوة إنجازية مفادها تحقيرٌ لمقول الرّجل إذ إنَّ الشَّاعر يعلم نفسه جيّـدا.

تحمل أفعال الأمر سابقة الذّكر إلزامًا للمخاطب بضرورة القيام بأعمال معينة، تضمن له عموما في هذه النماذج التزام طريق الحق ونلاحظ هنا أنّ المطابقة التي أرادها سيرل قد تحقّقت وهي المتجهة من العالم إلى الكلمات world to word ، من خلال توجيه المرسِل خطابًا للمرسَل إليه من أجل تحقيقه.

2- النـــهي

يقول الإلبيري:[27]

ت1- وَلَا تَحْفِـــــلْ بِمَالِكَ وَالْهُ عَنْهُ فَلَـيْسَ المَـــالُ إِلَّا مَا عَمِلْتَا

وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مَعْنًى وَلَوْ مُلْكُ العِرَاقِ لَهُ تَـــأَتَّى

ويقول:[28]

ت2- فَـــلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَـــا بِشَيْءٍ تَسُـــوؤُكَ حِقْبَةً وَتَسُـــرُّ وَقْتَا

فَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا إِذَا مَا أَنْتَ فِي أُخْـرَاكَ فُـزْتَا

فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ فِيـــــهَا مِنَ الفَانِي، إِذَا البَاقِي خَسِرْتَا

وَلَا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ لَهْوًا فَإِنَّكَ سَوْفَ تَبْكِي إِنْ ضَحِكْتَا

يأخذ النّهي عموما معاني التّرك والكفّ عن فعلٍ ما أو سلوكٍ ما، ونلاحظ أن الجملة الطّلبية المتضمّنة لفعل النّهي (ت1- لا تحفل بمالك) تحمل قوة إنجازية تفيد نهيَ السّامع عن الاهتمام بجمع المال في الحياة امتثالا لقوله تعالى في سورة الأنفال: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}.

وفي البيتين إشارة لفضل العلم على المال.

وفي التّركيب (ت2) تحمل الجمل الطلبية (لا تحزن، لا تضحك) قوة إنجازية تفيد نهيَ السَّامع عن سلوك طريق التّمسّك بالحياة الدّنيا.

ونلاحظ من خلال التّركيبين: (ت1- ت2) تحقّـق المطابقة التي أشار إليها جون سيرل (world to word) من خلال توجيه رسالة من المرسِل إلى المرسَل إليه تحمل خطابًا واجب التحقيق.

3- الـنداء

يقول الإلبيري:[29]

ت1- وَتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ: أَلَا يَا صَاحِ: أَنْتَ أُرِيـــدُ أَنْـــتَا!

ويقول:[30]

ت2- أَحَـــــمَامَةَ البَيْدَا أَطَلْتِ بُكَاكِ فَبِحُسْنِ صَوْتِكِ مَا الذِي أَبْكَاكِ!

إِنْ كَانَ حَقًّا مَا ظَنَنْتُ فَإِنَّ بِي فَـوْقَ الذِي بِكِ مِنْ شَدِيدِ جَوَاكِ

ويقول أيضا:[31]

ت3- فَيَا إِخْوَتِي مَهْمَا شَهِدْتُمْ جَنَازَتِـــي فَقُومُوا لِرَبِّي وَاسْأَلُوهُ نَجَاتِي

وَجِدُّوا ابْتِهَالاً فِي الدُّعَاءِ وَأَخْلِصُوا لَعَلَّ إِلَهِي يَقْبَـــلُ الدَّعَوَاتِ

استعمل الإلبيري في (ت1) الجملة الطلبية المتضمنة للنّداء على لسان الموت الذي يطلب كل إنسان، والغرض من ذلك توجيه رسالة إلى المتلقّي مفادها التحذير من الانجراف وراء ملذّات الحياة الدّنيا.

وفي التّركيب (ت2) يوجّه نداءً للحمامة متضمّنا سؤالا عن سبب بكائها، وأنّه أشدُّ حرقةً بسبب الحزن أو غيره، أمّا في التّركيب (ت3) فإنّ الشّاعر يوجّه نداءه لكل من سيشهد جنازته، من خلال جملة

طلبية تتضمن النّداء المصحوب هنا بالأمر من أجل إيصال خطاب واجب التّحقيق إلى السّامع وهو في هذا النّموذج طلب الدّعاء للميّت.

ونلاحظ كذلك من خلال التّراكيب: (ت1- ت2- ت3) تحقّق المطابقة التي أشار إليها جون سيرل (world to word) من خلال توجيه رسالة من المرسِل إلى المرسَل إليه تحمل خطابا واجب التّحقيق.

4- الاستفهام

يقول الإلبيري:[32]

ت1- تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ بِهَا حَتَّى إذَا مِـــتَّ انْتَبَهْتَا

فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْـــــدُوعٌ وَحَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى؟

استعمل الشّاعر جملة طلبية متضمّنة للاستفهام الذي ينتج قوة إنجازية مفادها التّساؤل عن الرّكون إلى النّوم في الحياة الدّنيا، حتّى إذا ما مات الإنسان فطن وكما قيل في الأثر: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا، وإذا ماتوا ندموا، وإن ندموا لم ينفعهم ندمهم.

المطلب الثالث: التعبيريات EXPRESSIVES

وغرضها الإنجازيّ هو التّعبير عن الموقف النّفسيّ تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصّنف اتّجاه مطابقة فالمتكلّم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التّعبير عن القضيّة ويدخل في هذا الصّنف أفعال الشّكر، التّهنئة، الاعتذار، التّعزية والتّرحيب.[33]

ويحفل ديوان الإلبيري بالمواقف التي يعبّر فيها عن حالات نفسيّة معيّنة نذكر منها:

يقول الإلبيري:[34]

ت1- وَمَا آسَى عَلَى الدُّنْـيَا وَلَكِنْ عَلَى مَا قَدْ رَكِبْتُ مِنَ الذُّنُوبِ

فَيَا لَهَفِي عَلَى طُولِ اغْتِرَارِي وَيَا وَيْحِي مِنَ اليَوْمِ العَصِيبِ

ويقول:[35]

ت2- إِلَى اللهِ أَشْكُو جَهْلَ نَفْسِي فَإِنَّهَا تَمِـيلُ إِلَى الرَّاحَاتِ وَالشَّهَوَاتِ

ويقول أيضا:[36]

ت3- إِنِّي لَأَشْـكُرُهُ عَلَـــى آلَائِهِ فَهُوَ الوَفِيُّ بِعَهْدِهِ لِلشَّـــــاكِرِ

ويقول أيضا:[37]

ت4- أَنَا إِنَّمَا أَبْكِي الذُّنُوبَ وَأَسْرَهَا وَمُنَايَ فِي الشَّكْوَى مَنَالُ فَكَاكِي

ويقول أيضا:[38]

ت5- وَمِمَّا شَجَانِي وَالشُّجُونُ كَثِيرَةٌ ذُنُوبٌ عِظَـــامٌ أَسْبَلَتْ عَبَرَاتِي

ويقول:[39]

ت6- أَيَّ خَطِـــيئَاتِي أَبْـكِي دَمًـــا وَهِيَ كَثِيـــــرَةٌ كَنُجُـــومِ السَّمَا

قَدْ طَمَسَتْ عَقْلِي فَـــمَا أَهْتَدِي وَأَوْرَثَـــتْ عَيْنَ فُـــؤَادِي العَمَى

يعبّر الإلبيري في التّراكيب سابقة الذّكر عن مواقف نفسيّة متعدّدة مرّ بها: فنجده في التّركيب (ت1) متحسّرا على لهفه على الدّنيا الفانية مذكّرا نفسه باليوم العصيب الذي ينتظر كل إنسان، وهو في التّركيب (ت2) يشكو إلى الله جهل نفسه التي تميل به إلى الشهوات والملذّات،أمّا في التّراكيب (ت4-

ت5- ت6) فالشّاعر يعبّـر عن مشاعر الحزن و البكاء بسبب الذّنوب الكثيرة ، ويلمس المتلقي الإخلاص الذي اشترطه جون سيرل في مختلف هذه التّراكيب.

المطلب الرابع: الإعلانيات DECLARATIVS

وتُعرف أيضا بالإيقاعيّات، وهي الأفعال التي تتحدّد دلالتها بمجرّد النّطق بها، حيث يكون إيقاع الفعل فيها موحيًا بالدّلالة المقصودة في الوجود، ومن شروطها: **نسبتها إلى المتكلّم، وزمنها الحاضر أو المستقبل**، نحو: الوصيّة،الدّعاء، الرّجاء، الإقرار، الشّكر، التّحيّة، القسم.... وغيرها.[40]

والسّمة المميّزة لهذا الصّنف من الأفعال أن أداءها النّاجح يتمثّل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، وأهم ما يميّز هذا الصّنف من الأفعال عن الأصناف الأخرى أنّها تحدث تغييرا في الوضع القائم، واتّجاه المطابقة فيها يكون من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص.[41]

وقد حفل ديوان أبي إسحاق الإلبيري بهذا الصّنف من الأفعال نذكر منها:

يقول الإلبيري:[42]

ت1- إِنِّي لَأَشْـــكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ فَهُوَ الوَفِيُّ بِعَـــهْدِهِ لِلشَّـــاكِرِ

ويقول: [43]

ت2- أَلَا خَبِـــرٌ بِـمُنْتَزِحِ النَّوَاحِي أَطِيرُ إِلَيْهِ مَنْـــشُورَ الجَنَاحِ

فَـــأَسْأَلَـــهُ وَأُلْطِفَهُ عَسَاهُ سَيَأْسُو مَا بِدِينِي مِنْ جِرَاحِ

وَيَجْلُو مَا دَجَا مِنْ لَيْلِ جَهْلِي بِنُورِ هُدًى كَمُنْبَلِجِ الصَّبَاحِ

فَأَبْصُقُ فِي مُحَـــيَّا أُمِّ دِفْرٍ وَأَهْـــجُرُهَا وَأَدْفَعُهَا بِرَاحِي

وَأَصْحُو مِنْ حُمَــيَّاهَا وَأَسْلُو عَـفَافًا عَنْ جَآذِرِهَا المِـلاَحِ

وَأَصْرِفُ هِمَّتِي بِالكُلِّ عَنْهَا إِلَى دَارِ السَّـعَادَةِ وَالنَّجَاحِ

(خَبِرٌ: مثل خبير، يقال هو خابر وخبير وخبْر و خبِر، نزح وانتزح: بَعُدَ، والمنتزح: البعيد).

ويقول أيضا: [44]

ت3- وَإِلَّا أَكُنْ أَهْلًا لِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَرَبِّي أَهْلُ الفَضْلِ وَالرَّحَمَاتِ

فَمَا زِلْتُ أَرْجُو عَفْوَهُ وَجِنَانَهُ وَأَحْمَدُ فِي اليُسْرِ وَالأَزَمَــاتِ

وَأَسْجُدُ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَذَلُّــلًا وَأَعْبُدُهُ فِي الجَهْرِ وَالخَلَـوَاتِ

استعمل أبو إسحاق الإلبيري في التّركيب (ت1) جملة طلبية متضمنة الفعل (أشكر) في صيغة المضارع منسوبا للمتكلم، و تتحددّ دلالة هذا الفعل بالنسبة إلى المتلقّي بمجرّد النطق به.

وتحمل هذه الجملة قوة إنجازيّة تحدث تغييرا في الوضع القائم، فالشّاعر يرجو ويتمنّى في التّركيب (ت2) – من خلال الجمل الطلبية التي تحمل الأفعال (أطيرُ، أسألُ، ألطِفُ)– لو أنّه كان يعرف خبيرا يعالجه من أخطائه وجهله، حتى إذا صحّ واستقامت له الطريقة عرف طريق الحق وصرف نفسه وهمّه عن مغرياتها.

الإحالات والهوامش:

1- علي محمود حجي الصرّاف: الأفعال الإنجازيّة في العربيّة المعاصرة، دراسة دلاليّة ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، 2010، ص 10.

2- نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط1 ،2009 ، ص ص 26-27

3- أحمد كشك: اللّغة والكلام، أبحاث في التّداخل والتّعريب، دار غريب، القاهرة، مصر، 2004، ص10.

4- مسعود صحراوي: التّداولية عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، دط، 2005، ص ص 10-11.

5- نعمان بوقرة: المدارس اللّسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دط، 2004، ص189.

6- مسعود صحراوي: المرجع السابق، ص40.

7- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 2002، ص ص 43-50.

8- **جون لانشو أوستين (John Langshaw Austin)**: (1911-**1960**) منطقيّ ولسانيّ بريطانيّ وضع نظرية الأفعال الكلامية له كتاب: كيف ننجز الأشياء بالكلام طرح فيه نظريته في الأفعال الكلامية.

9- **جون روجرز سيرل (John Rogeers Searl)**: (1932-) فيلسوف أمريكي، ولد في دنفر بولاية كولورادو، تلميذ أوستن ، يعدّ من أبرز الفلاسفة المحدّثين الذين ينتمون لتيّار الفلسفة التّحليلية التي طورها أوستن، من أشهر أعماله: أفعال الكلام، القصديّة ، التّعبير والمعنى، العقول والأدمغة والعلم، لغز الشّعور ، إعادة اكتشاف العقل.

10- أبو إسحاق الإلبيري الأندلسي : ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي، تح محمد رضوان الداية، دار الفكر، سوريا، دمشق، ط1، 1991، ص ص 7-11.

11- **إلبيرة Elvira**: ويلفظ بعضهم اسمها يلبيرة، ويلفظها بعضهم الآخر ليبيرة دون ألف، تقع المدينة في وسط الكورة، وهي مدينة رومانية قديمة كانت تسمى على عهد الرومان Illbaris، كما كانت عاصمة الولاية التي تسمّى بهذا الاسم، وهي بين القبلة والشّرق من قرطبة، وقد ذكر البكري أن إلبيرة من الجبال المشهورة بالأندلس، ووصفه بأنه جبل الثلج Sierra Elvira، كانت إلبيرة سنام الأندلس، وتشبه في طبيعة أرضها وكثرة أنهارها، وخصوبة تربتها دمشق ولذلك نزل فيها أهل دمشق من الفاتحين الأوائل وسمّوا كورة إلبيرة كورة دمشق لشبهها بها، فتحها طارق بن زياد سنة 92هـ/711م.

كانت مدينة إلبيرة في عهد بني أمية في الأندلس مدينة عظيمة، لها من الشّهرة والعمارة ولأهلها من الثّروة والعدّة وبها من الفقهاء والعلماء ما هو مشهور وقد بنى فيها الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/852-886م) مسجدا جامعا، ظلّت إلبيرة طوال العصر الأموي مدينة عامرة ولكن كثرت فيها الفتن، منها فتنة عمر بن حفصون في عهد الخليفة الناصر

(300-350هـ/912-961م)، إلا أنّ النّاصر خلّصها منه سنة 300هـ/912م، وقد وقعت بها أكبر فتنة سنة 400هـ/1009م.

وبقي من إلبيرة إلى أواخر عهد المسلمين بالأندلس حصنها.(أنظر: محمد عبده حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، مطبوعات المكتبة الوطنية، ط1، 1999، الأردن، عمان، ص ص113-120).

12- محمود أحمد نحلة: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، المرجع السابق، ص ص78-79.

13- فيليب بلانشيه: **التداولية من أوستن إلى غوفمان**، تر صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاّذقية، سوريا، ط1، 2007، ص 66.

14- خليفة بوجادي: في اللّسانيات التداولية مقاربة بين التّداولية والشّعر دراسة تطبيقيّة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، 2012، ص 147.

15- الديوان، ص34.

16- الديوان، ص 47.

17- الديوان ، ص ص 72-73.

18- الديوان، ص 24.

19- **(أبو بكر)** كنية المخاطَب المباشر في القصيدة المطوّلة وقد نبّه إليه الإلبيري أكثر من مرة فيها، وقد جعل الحديث إليه وسيلة لبسط آرائه ومواقفه.

20- محمود أحمد نحلة: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، المرجع السابق، ص ص49-50.

21- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية، المرجع السابق، ص 145.

22- الديوان، ص 26.

23- الديوان، ص 27.

24- الديوان، ص28.

25- الديوان، ص 30.

26- الديوان، ص 33.

27- الديوان، ص27.

28- الديوان، ص 30.

29- الديوان، ص 24.

30- الديوان، ص 38.

31- الديوان، ص 63.

32- الديوان، ص24.

33- محمود أحمد نحلة: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، المرجع السابق، ص 80.

34- الديوان: ص 37.

35- الديوان: ص 61.

36- الديوان: ص 94.

37- الديوان: ص 39.

38- الديوان: ص 61.

39- الديوان: ص 81.

40- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية، المرجع السابق، ص 142.

41- محمود أحمد نحلة: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، المرجع السابق، ص 80.

42- الديوان: ص 94.

43- الديوان: ص 48.

44- الديوان: ص 63-64